مناظرة الإمام الشافعي

وتكفيره لحفص الفرد

بقلم عرفات بن حسن المحمدي

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

المطلب الأول:

المقدمة، وفيها مسائل غير صحيحة تنسب للإمام الشافعي –رحمه الله–

إنّ الإمام أبا عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي –رحمه الله– من العلماء العاملين والمعروفين بالثبات وصحة العقيدة، وسلامة الطريقة، بل لا نظير له في زمنه في الاستنباط والدقة، وقوة الحجة، والمناظرة، وكان قد أوتي عذوبة منطق، وحسن بلاغة، وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجة[1]، فهو ذو الفهم التام، والذكاء الزائد، والحفظ الحاذق، والفكر الصحيح، والعقل الرجيح[2].

وقد تفضَّل الله جلَّ في علاه– عليَّ بشرح عقيدة الإمام الشافعي التي جمعها علي بن أحمد الهكَّاري (ت:486).

وقد تعلق كثيرٌ من الأشاعرة بهذا الإمام وانتسبوا له، وتعسفوا في تأويل نصوصه –رحمه الله–.

وقد نُسِبتْ له كثير من المسائل التي تمس عقيدته –رحمه الله– وهو بريء منها كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب –عليهما السلام–.

وإليك بعضها وأشهرها عشر مسائل:

1–أنه يتوسل بقبر أبي حنيفة، ويسأل الله تعالى عند قبره فتقضى حاجته سريعًا[3].

2–وزعموا أنه توسل بآل البيت[4].

3–وزعموا أنه متشيع[5].

---

(1) سير أعلام النبلاء (48/10).

(2) طبقات الشافعيين (6/1).

(3) نسب هذا للإمام الشافعي ابنُ حجر الهيتمي في كتابه "الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان". ص 72

(4) زعم هذه الفرية ابن النديم المعتزلي في الفهرست (259).

قال الذهبي في السير (58/10): (من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفتر لا يدري ما يقول).

(5) هذه من ترَّهات أعداء الدعوة السلفية كأمثال أحمد دحلان كما في الدرر السنية (73)، وخلفه حسن السقاف في بهجة الناظر (12).

4-وزعموا أنه من أئمة الصوفية[6].

5-ونسبوا إليه أنه تبرك بقميص الإمام أحمد[7].

6-ونسبوا إليه القول بالتنجيم[8].

7-وزعموا أنَّ الإمام الشافعي -رحمه الله- يرى أنَّ القول بخلق القرآن كفرًا دون كفر[9].

8-وزعموا أن عقيدة في إثبات الصفات هي عقيدة المعتزلة الذين يثبتون الأسماء ولا يثبتون الصفات[10].

9-وزعموا أنه يرى سلَّ السيف على السلطان الظالم[11].

10-زعموا أنه لا يُخطِّئ أحدًا قدَّم عليًا على عثمان، وأن هذه مسألة خلافية بين الصحابة[12].

---

(6) نسبه الشعراني للصوفية في طبقاته (65/1).

(7)قصة التبرك المزعوم في تاريخ دمشق (311/5)، ومناقب أحمد لابن الجوزي (609)، وإسنادها مسلسل بالمجاهيل.

(8) ذكر هذا البيهقي في مناقب الشافعي (130/1-131)، وهي قصة موضوعة مكذوبة.

(9) سيأتي الكلام حول هذا في مطلب خاص.

(10) نسب هذا القول إليه ابن حزم -عفا الله عنه- كما في الفصل في الملل والنحل (109/2).

(11) نسب هذا القول إليه ابن حزم -عفا الله عنه- كما في الفصل في الملل والنحل (132/4).

(12) نسب هذا القول إليه البيهقي في مناقب الشافعي (43/1).

المطلب الثاني: التعريف بحفص الفرد.

هو حفص الفرد، وبعضهم يطلق عليه: القرد[13] ويكنى أبا يحيى، وقيل: أبو عمرو من أهل مصر وقَدِم البصرة، وكان الشافعي يسميه المنفرد[14]، والمُتَفَرِّد[15].من متكلمي المعتزلة، ومن نفاة الصفات[16]، وممن يقول بخلق القرآن[17]، وهو من تلاميذ حسين النجار[18]، ومن أتباع ضرار بن عمرو[19] وعلى طريقته[20]، وسمع من أبي الهذيل العلاف.

قال الإمام النسائي: صاحب كلام، لكنه لا يكتب حديثه[21].

قال الحافظ الذهبي: مبتدع... وكفره الشافعي في مناظرته[22].

---

(13) انظر الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادي (ص202) وميزان الاعتدال للذهبي (564/1).

(14) انظر: آداب الشافعي لابن أبي حاتم (149)، الشريعة للآجري (509/1)، شرح السنة للبغوي (227/1).

وعنى الشافعي بقوله: المنفرد أو المتفرد أنه شاذ ضال. انظر: الذريعة إلى بيان مقاصد الشريعة (372/1).

(15) انظر: شرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي (279/2).

(16) انظر: درء التعارض (246/7).

(17) انظر: الفهرست لابن النديم (223)، لسان الميزان (240/3).

(18) انظر: تلبيس الجهمية (104/3).

(19) انظر: سير أعلام النبلاء (545/10).

(20) انظر: تلبيس الجهمية (486/8).

(21) انظر: ميزان الاعتدال (564/1).

(22) ميزان الاعتدال (564/1).

المطلب الثالث: عقيدة أهل السنة في القرآن وحكم القول بخلق القرآن.

اختصَّ الله تعالى نبيّنا محمدًا ﷺ بالقرآن الكريم، وهو الآية العظمى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، القرآن الذي هو كلام الله الذي أنزله على النبي ﷺ بواسطة جبريل –عليه السلام– وسمعه جبريل من الله –سبحانه وتعالى– وسمعه نبينا محمدٌ ﷺ من جبريل وسمعه الصحابة ﷺ من نبينا محمدٍ ﷺ، كلام الله غير مخلوق،وهو الذي نتلوه بألسنتنا[23]، وهو الذي بين الدفتين، وهو ما في صدورنا، سواء كان مسموعًا، أو كان مكتوبًا، أو كان محفوظًا، وكل حرفٍ منه كلام الله، بل حروفه ومعانيه كلها كلام الله، ليس الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف منه بدأ وإليه يعود، يتكلم بكلام حقيقي مسموع، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وأنه يتكلم متى شاء، كيف شاء، بأي لغة شاء سبحانه وأنَّ كلام الله قديم النوع حادث الآحاد[24].

قال عمرو بن دينار –رحمه الله–: "أَدْرَكْتُ، أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ دُونَهُمْ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللَّهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ خرج وَإِلَيْهِ يعود"[25].

وما تَكَفَّلَ الله بحفظ سائر الكتب، إنَّما تَكَفَّلَ بحفظ هذا القرآن العظيم، كما قال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر:9]،وقال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ

---

(23) ما كان من صفات العباد وأفعالهم التي يقرؤون ويكتبون بها كلام الله كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق. انظر: مجموع الفتاوى (432/12–433).

(24) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (72)، السنة لابن أبي عاصم (412/1–416)، السنة لعبد الله بن أحمد (132/1)، كتاب السنة للخلال (9/6)، كتاب التوحيد لابن خزيمة (328/1–405)، شرح السنة للبربهاري (64)، الشريعة (214/1–245)، كتاب التوحيد لابن منده (129/3–177)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (449/1–659)، رسالة السجزي (151)، الرسالة الوافية (152–162)، الحجة في بيان المحجة (203/1–226)، مجموع الفتاوى (529/12)، شرح العقيدة الطحاوية (172/1–206).

(25) أثر صحيح.

أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (29)، والدارمي في النقض على المريسي (573/1)، وابن جرير في صريح السنة (16)، والخلال في السنة (234/2)، وابن بطة في الإبانة (7/3)، والبيهقي (75/10).

كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

وهو مهيمن على كل الكتب السابقة، كما قال الله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}[المائدة:48].

وقد أجمع السلف على كفر من قال بخلق القرآن، فقد نقل الإمام اللالكائي–رحمه الله– عن مئات من علماء أهل السنة قولهم: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، ثم قال: (فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام. وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة)[26].

وقال الإمام السجزي–رحمه الله–:

(واتفق المنتمون إلى السّنة بأجمعهم على أنه غير مخلوق، وأنّ القائل بخلقه كافر)[27].

قال أبو بكر بن عياش:

«من زعم لك أنَّ القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو الله، لا تجالسه، ولا تكلمه»[28].

(26) شرح الأصول (344/1).

(27) رسالة السجزي لأهل زبيد (153).

(28) أخرجه أبو داود في مسائله لأحمد (358). وسنده صحيح.

المطلب الثالث: نص المناظرة في خلق القرآن وتخريجها.

مناظرة الإمام الشافعي لحفص الفرد مناظرة مشهورة، جعلت الإمام الشافعي يزداد بغضًا لعلم الكلام، واشتد في تحذيره منه، وكان الإمام الشافعي، رحمه الله، شديدًا على أهل الإلحاد وأهل البدع، مجاهرًا ببغضهم وهجرتهم[29].

قال مُحَمَّد بن عبد الحكم–رحمه الله–:

(وكان الشافعي بعد أنْ ناظر حفصًا الفرد يكره الكلام، وكان يقول: لأنْ يفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم خير له من أن يتكلم، فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إلي من الكلام وأهله)[30].

وقد سُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنْ شَيْءٍ، مِنَ الْكَلَامِ، فَغَضِبَ، وَقَالَ: «سَلْ هَذَا حَفْصًا الْفَرْدَ، وَأَصْحَابَهُ أَخْزَاهُمُ اللَّهُ»[31].

وقد ذكر نص هذه المناظرة وخرجها كل من: الإمام ابن أبي حاتم، والإمام الآجري، والإمام ابن بطة، والحافظ أبو نعيم، والحافظ البيهقي، والحافظ اللالكائي:

وقد اجتهدتُ في جمع روايات المناظرة في سياق واحد:

قال الرَّبِيع بْنِ سُلَيْمَانَ:

حَدَّثَنِي أَبُو شُعَيْبٍ، إلا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ حَضَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ، وَحَفْصٌ الْفَرْدُ، –وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يُسَمِّيهِ حفصًا الْمُنَفَرَدَ– فَسَأَلَ حَفْصُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهُ، فَسَأَلَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ وَابْنَ يَزِيدَ، فَلَمْ يُجِبْهُ، وَكِلاهُمَا أَشَارَ إِلَى الشَّافِعِيِّ، [فَجَعَلَ النَّاسُ يُومِئُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ الشَّافِعِيَّ] فَقَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ النَّاسُ يُحِيلُونَ عَلَيْكَ. قَالَ: فَقَالَ: دَعِ الْكَلَامَ فِي هَذَا. وفي لفظ: [قَالَ: حَضَرَتُ الشَّافِعِيَّ، وَعَنْ يَمِينِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَعَنْ يَسَارِهِ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ، وَحَفْصٌ الْفَرْدُ حَاضِرٌ، فَقَالَ لِابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ: «مَا تَقُولُ فِي

(29) مناقب الشافعي للبيهقي (469/1).

(30) تاريخ دمشق (310/51).

(31) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (111/9).

الْقُرْآنِ؟» قَالَ: أَقُولُ كَلَامُ اللَّهِ. قَالَ: «لَيْسَ إِلَّا؟» ثُمَّ سَأَلَ يُوسُفَ بْنَ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ]. فَسَأَلَ الشَّافِعِيَّ، [فَقَالَ لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «أَقُولُ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ»] فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَطَالَتْ فِيهِ الْمُنَاظَرَةُ،[وَنَاظَرَهُ بِحَضْرَةِ وَالٍ كَانَ بِمِصْرَ] فَأَقَامَ الشَّافِعِيُّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ، بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَكَفَّرَ حَفْصًا الْفَرْدَ.

فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمُنَاظَرَةِ: كَفَرْتَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَامُوا، فَانْصَرَفُوا.

وفي لفظ: [فَنَاظَرَهُ وَتَحَارَبَا فِي الْكَلَامِ حَتَّى كَفَّرَهُ الشَّافِعِيُّ].[حتى كَفَّره الشافعي وقطعه] قَالَ: أَرَادَ الشَّافِعِيُّ قَتْلِي(32).

وفي لفظ قال حفص:[أَشَاطَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي](33).

وفي لفظ قال: [كَادَ وَاللَّهِ الشَّافِعِيُّ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي].

قَالَ الرَّبِيعُ: وَسَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ)(34).

قال الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ: قَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ).

قال أبو شعيب: وحججهما عندي في كتاب.

قال أبو شعيب: فلما كان من الغد لقيني حفصٌ الفرد في سوق الدّجَاجِ فقال: أما رأيت ما صنع بي الشافعي؟ أحب أن يريهم أنه عالم. ثم أقبل عليَّ فقال: مع أنه ما تكلم أحدٌ في هذا مثله، ولا أقدر منه على هذا.

فَقَامَ حَفْصٌ مُغْضَبًا فَلَقِيتُهُ مِنَ الْغَدِ فِي سُوقِ الدَّجَاجِ بِمِصْرَ فَقَالَ لِي: رَأَيْتَ مَا فَعَلَ بِيَ الشَّافِعِيُّ أَمْسِ؟ كَفَّرَنِي، قَالَ: ثُمَّ مَضَى، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ مَعَ هَذَا مَا أَعْلَمُ إِنْسَانًا أَعْلَمَ مِنْهُ.

---

(32) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (149).

(33) الإبانة لابن بطة قسم (الرد على الجهمية) (51/2) (249).

(34) الشريعة (508/1-509).

تخريجها:

أخرج المناظرة ابن أبي حاتم، في آداب الشافعي (149).

ومن طريق ابن أبي حاتم أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (1/455)، وفي الأسماء والصفات (1/612).

وأخرجه الآجري في الشريعة (1/508)، من طريق الحسن بن علي الجصاص.

وأخرجه ابن بطة في الإبانة (2/51)، من طريق أبي حاتم.

واللالكائي في شرح الاعتقاد (2/279). من طريق أبي نُعيم الْإِسْتِراباذِي.

وأخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (1/407)، وفي الأسماء والصفات (1/613)، من طريق مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة.

خمستهم: (أبو حاتم–وابن أبي حاتم–والحسين بن علي الجصاص–وأبو نعيم الاستراباذي–وابن خزيمة) عن الربيع بن سليمان به.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (9/112)، والبيهقي في مناقب الشافعي (1/406–407) (1/455)، من طريق زكريا الساجي عن أبي شعيب المصري به.

قلت:

وقد صحح إسنادها شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي كما في كتابه النفيس "الذريعة إلى بيان مقاصد كتاب الشريعة" (1/365).

المطلب الرابع: عقيدة أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه.

عقيدة أهل السنة والجماعة المجمع عليها أنَّ الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(35)].

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام –رحمه الله–:

(وأهل السنة الذين كانوا مصابيح الأرض وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، زارين على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان: قولاً وعملاً)[(36)].

قال أبو الحسن الأشعري –رحمه الله–:

(وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[(37)].

وقال السجزي–رحمه الله–:

(وعند أهل الأثر أنَّ الإِيمان: قول وعمل يزيد وينقص، وعلماء الآفاق المتبعون كلهم على هذا القول)[(38)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

(وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح. فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم الناس في هذا على أقسام: منهم من صدق به جملة ولم يعرف التفصيل ومنهم من صدق جملة وتفصيلا ثم منهم من يدوم استحضاره وذكره لهذا التصديق ومنهم

---

(35) انظر:أصول السنة لأحمد (34)، السنة لابن أبي عاصم (461/2)، السنة لعبد الله (307/1-384)، السنة للخلال (581/3-593)، الإبانة للأشعري (27)، الشريعة للآجري (580/2-609)، شرح السنة للمزني (77)، الإبانة لابن بطة (828/2-861)، مقدمة أبي زيد القيرواني (60)، الإيمان لابن منده (341/1)، أصول السنة لابن أبي زمنين (207)،

(36) الإيمان (66-67).

(37) رسالة لأهل الثغر (155).

(38) رسالة السجزي لأهل زبيد (274).

من يغفل عنه ويذهل ومنهم من استبصر فيه بما قذف الله في قلبه من النور والإيمان ومنهم من جزم به لدليل قد تعترض فيه شبهة أو تقليد جازم وهذا التصديق يتبعه عمل القلب وهو حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه إلى غير ذلك من الأحوال فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول. ويتبع الاعتقاد قول اللسان ويتبع عمل القلب الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك)[39].

ومخالفو أهل السنة هم الجهمية الذين يقولون: الإيمان مجرد معرفة القلب.

والكرامية الذين يقولون: مجرد قول اللسان.

ومرجئة الفقهاء والكلابية الذين يقولون: تصديق القلب، وقول اللسان.

وأجمع هؤلاء المبتدعة على أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وقد نسب السبكي في طبقاته الكبرى[40]إلى الإمام الشافعي القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه!

وإليك أقوال الإمام الشافعي في إثبات عقيدة أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه:

قال –رحمه الله–:

(الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)[41].

وعن الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: " الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا[42].

وقال الإمام الشافعي –رحمه الله–:

(ولو كان هذا الإيمان كله واحداً –لا نقصان فيه ولا زيادة– لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دَخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في

---

(39) الإيمان الكبير كما في مجموع الفتاوى (672/7).

(40) (130/1).

(41)أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (385/1).

(42) أخرجه أبو نعيم في الحلية (114/9).

الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المُفَرِّطون النار)[43].

وقال –رحمه الله–:

(ما يحتج عليهم – يعني أهل الإرجاء – بآية أحجُّ من قوله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[44].

وسيأتي الكلام حول نص مناظرة الإمام الشافعي لحفص الفرد في زيادة الإيمان ونقصانه.

---

(43) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (393/1).

(44) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه (146–147)، ومن طريقه اللالكائي في شرح الأصول (956/3)، وأخرجه الخلال في السنة (590/3).

المطلب الخامس: نص المناظرة في زيادة الإيمان ونقصانه.

قد ثبت عن الصحابة ﷺ أنَّ الإيمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة والجماعة، بخلاف المرجئة الذين يرون أنَّ الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ ولا يتفاضل، فبذهاب بعضه يذهب كله[45].

نص المناظرة:

اجْتَمَعَ حَفْصٌ الْفَرْدُ، وَمِصْلاقٌ[46] الإِبَاضِيُّ، عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِي دَارِ الْجَرَوِيِّ يَعْنِي: بِمِصْرَ، فَاخْتَصَمَا فِي الإِيمَانِ، فاحْتَجَّ مِصْلاقٌ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَاحْتَجَّ حَفْصٌ الْفَرْدُ فِي أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ، فَعَلا حَفْصٌ الْفَرْدُ عَلَى مِصْلاقٍ، وَقَوِيَ عَلَيْهِ، وَضَعُفَ مِصْلاقٌ.

فَحَمِيَ الشَّافِعِيُّ، وَتَقَلَّدَ الْمَسْأَلَةَ، عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَطَحَنَ حَفْصًا الْفَرْدَ، وَقَطَعَهُ[47].

وسأل رجلٌ الإمام الشافعي: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل؟

قال الشافعي: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل.

قال الرجل: صف لي ذلك؛ حتى أفهمه.

قال الشافعي: إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والراجح الزائد رجحانه.

قال الرجل: وإن الإيمان ليتم وينقص، ويزيد؟ قال الشافعي: نعم.

قال الشافعي: إنَّ الله، جل ذكره، فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من الله تعالى[48].

(**45**) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (**387/1–388**).

(**46**) وقيل: مصلان.

(**47**) مجموع الفتاوى (**50/13**).

(**48**) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (**147**)، ومن طريقه اللالكائي في شرح الأصول (**1034/3**)، والبيهقي في مناقب الشافعي (**387/1**)، وأبو نعيم في الحلية (**115/9**).

المطلب السابع: مناظرة الإمام الشافعي لرجل –من بَلْخ– كانت سببًا لتوبته.

عن الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلْخِ الشَّافِعِيَّ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: «فَمَا تَقُولُ أَنْتَ فِيهِ». قَالَ: أَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ. قَالَ: «وَمِنْ أَيْنَ؟ قُلْتَ» قَالَ: مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فَصَارَتِ الْوَاوُ فَصْلًا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ، وَالْأَعْمَالُ شَرَائِعُهُ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «وَعِنْدَكَ الْوَاوُ فَصْلٌ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: "فَإِذًا كُنْتَ تَعْبُدُ إِلَهَيْنِ إِلَهًا فِي الْمَشْرِقِ وَإِلَهًا فِي الْمَغْرِبِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}"فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَجَعَلْتَنِي وَثَنِيًّا؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «بَلْ أَنْتَ جَعَلْتَ نَفْسَكَ كَذَلِكَ»، قَالَ: كَيْفَ؟ قَالَ: «بِزَعْمِكَ أَنَّ الْوَاوَ فَصْلٌ». فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُ، بَلْ لَا أَعْبُدُ إِلَّا رَبًّا وَاحِدًا، وَلَا أَقُولُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنَّ الْوَاوَ فَصْلٌ، بَلْ أَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالَ الرَّبِيعُ: فَأَنْفَقَ عَلَى بَابِ الشَّافِعِيِّ مَالًا عَظِيمًا، وَجَمَعَ كُتُبَ الشَّافِعِيِّ، وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ سُنِّيًّا[49].

---

(49) أخرجه أبو نعيم في الحلية (110/9).

المطلب الثامن: موقف شيخ الإسلام من تكفير الإمام الشافعي لحفص الفرد.

قد أقام الإمام الشافعي الحجة على حفص الفرد ثم كفَّره وحكم عليه بالردة، وكل ذلك بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، وإليك ما ورد من عبارات تدل على ذلك:

1–فَأَقَامَ الشَّافِعِيُّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ، بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَكَفَّرَ حَفْصًا الْفَرْدَ(50).

2–حتى كَفَّره الشافعي وقطعه(51).

3–فَنَاظَرَهُ وَتَحَارَبَا فِي الْكَلَامِ حَتَّى كَفَّرَهُ الشَّافِعِيُّ(52).

4–أَرَادَ الشَّافِعِيُّ قَتْلِي(53).

5– قَالَ حفص: رَأَيْتَ مَا فَعَلَ بِيَ الشَّافِعِيُّ أَمْسِ؟ كَفَّرَنِي(54).

6–كَادَ وَاللَّهِ الشَّافِعِيُّ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي(55).

7–أَشَاطَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي(56).

8–قَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(57).

9– فَقَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ الشَّافِعِيّ: كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ(58).

10–وعن الربيع بن سليمان يقول: قال الشافعي – وهو يسأل عن القرآن – فقال: أفٍّ ثم أفٍّ من قال: إنه مخلوق فقد كفر(59).

(**50**) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (**455/1**).

(**51**) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي (**456/1**).

(**52**) أخرجه أبو نعيم في الحلية (**456/1**).

(**53**) أخرجه اللالكائي في شرح الأصول (**279/1**)، والبيهقي في مناقب الشافعي (**455/1**)، وفي معرفة السنن والآثار (**191/1**).

(**54**) أخرجه أبو نعيم في الحلية (**112/9**).

(**55**) أخرجه اللالكائي في شرح الأصول (**279/1**).

(**56**) أخرجهالآجري في الشريعة (**508/1**)، وابن بطة (**51/6**)..

(**57**) أخرجهاللالكائي في شرح الأصول (**449/2**).

(**58**) أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (**148**)، واللالكائي في شرح الأصول (**278/1**)، والبيهقي في مناقب الشافعي (**407/1**).

(**59**) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (**191/1**).

قال الحافظ الذهبي –رحمه الله–:

(فإن حفصًا الفرد الذي كفره الشافعي في مناظرته من تلامذة ضرار)[60].

فهذه روايات صحيحة وبعضها حسن، تدل صراحة على تكفير الإمام الشافعي لحفص الفرد والحكم عليه بالردة.

بل وكان الشافعي يدعو عليه فقد مرض الشافعي رحمه الله بمصر مرضة ثقل فيها، فدخل عليه قوم منهم حفص الفرد، فكل منهم يقول له: من أنا، حتى قال له حفص الفرد: من أنا يا أبا عبد الله فقال:أَنْتَ حَفْصٌ الْفَرْدُ لَا حَفِظَكَ اللَّهُ وَلَا كَلَاكَ وَلَا رَعَاكَ حَتَّى تَتُوبَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ"[61].

وقد وقفت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أثناء تدريسي لكتابه "الماردينية" حيث قال:

(وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد –حين قال القرآن مخلوق–: كفرت بالله العظيم. بين ذلك: أنَّ هذا القول كفر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك؛ لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله)[62].

الجواب عن هذا من وجهين:

الأول:

أن هذا الكلام فيه نظر، ومن نظر في مرويات المناظرة وتمعن في ألفاظها ليجزم أن الإمام الشافعي–رحمه الله– كفر حفصًا الفرد وحكم بردته.

الثاني:

لعل هذا الكلام من شيخ الإسلام كان أولاً، ثم اطلع على ما يدلُّ على تكفير الإمام الشافعي لحفص فصرح بذلك، حيث قال –رحمه الله–: (وبينّا قول حفص الذي كفَّره به الشافعي)[63].

(**60**) سير أعلام النبلاء (**545/10**).

(**61**) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (**940/2**).

(**62**) المسائل الماردينية ص (**158**). وهو في مجموع الفتاوى (**349/23**).

(**63**) شرح الأصبهانية (**371**).

المطلب التاسع: هل الشافعي يرى القول بخلق القرآن كفرًا دون كفر.

هذا ما قرره البيهقي –غفر الله له– فقد حمل ما ورد عن الإمام الشافعي في تكفير من يستحق التكفير من أهل الأهواء على الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

فقال البيهقي –رحمه الله–:

(وكل من لم يقلْ من أصحابنا بتكفير أهل الأهواء من أهل القبلة فإنه يَحْمِل قول السلف ﷺ في تكفيرهم على كفر دون كفر)[64].

وقد أشار الإمام السجزي إلى هذا الخلاف وصحح قول جماهير السلف أن المراد بالكفر هو الكفر الأكبر[65].

ومن نظر في نصوص مناظرة الإمام الشافعي لحفص الفرد ليتقن أنه أراد الكفر الأكبر المخرج من الملة.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–:

(المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن... ولهذا كفروا من يقول: إن القرآن مخلوق)[66].

ثم قال:(ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم في هذا قولين: " أحدهما " أنه كفر ينقل عن الملة. قال: وهو قول الأكثرين)[67].

قال العطار الشافعي –رحمه الله–:

(التكفير بالعقائد لا سيما مسألة الكلام أمر مستفيض فيه النزاع بين الأئمة من قديم الزمان حتى نقل السيوطي في شرح التقريب أن القائل بخلق القرآن يكفر نص عليه الشافعي واختاره البلقيني ومنع تأويل البيهقي له بكفران النعمة فإن الشافعي قال ذلك في حق حفص الفرد لما أفتى بضرب عنقه وهذا رد للتأويل)[68]

(**64**) معرفة السنن والآثار (**191/1**).

(**65**) رسالة السجزي لأهل زبيد (**153**).

(**66**) مجموع الفتاوى (**485/12**).

(**67**) مجموع الفتاوى (**487/12**).

(**68**) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (**173/2**).

المطلب العاشر: كلام الإمام الشافعي في حفص الفرد وأمثاله ليس لأنه قدري.

ظن البيهقي –رحمه الله– وتبعه ابن عساكر أنَّ أقوال الإمام الشافعي في أهل الكلام إنَّما أراد بها ذم القدرية(69)، وهذا غير صحيح، بل إنَّ ذمَّ الشافعي لكلام حفص وأمثاله لم يكن لأجل إنكار القدر، فإن حفصًا لا ينكره، وإنَّما كان لإنكار الصفات والأفعال، المبني على دليل الأعراض(70).

قال ابن عساكر –رحمه الله–:

(فالشافعي رَحمَه اللَّه إِنَّمَا عني بمقاله كَلَام حَفْص الْفَرد القدري وَأَمْثَاله)(71).

وحفص الفرد ليس قدريًا، بل إنَّ (أهل المقالات متفقون على أنَّ حفصاً لم يكن من نفاة القدر بل من مثبتيه)(72).

فيقال – جوابًا على البيهقي –رحمه الله– ومن تبعه:

من ظن أنَّ الإمام الشافعي ناظر حفصًا الفرد في القدر فقد أخطأ خطأ بينًا، فإنَّ الناس كلهم إنَّما نقلوا مناظرته له في القرآن: هل هو مخلوق أم لا؟(73).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

(والسلف والأئمة ذمُّوا أهل الكلام المبتدعين؛ الذين خالفوا الكتاب، والسنّة. ومن خالف الكتاب والسنة لم يكن كلامه إلا باطلاً؛ فالكلام الذي ذمّه السلف يُذمّ لأنّه باطل، ولأنّه يُخالف الشرع. ولكنّ لفظ الكلام لمّا كان مجملاً، لم يعرف كثيرٌ من الناس الفرق بين الكلام الذي ذموه، وغيره؛ فمن الناس من يظن أنّهم إنّما أنكروا كلام القدرية فقط؛ كما ذكره البيهقي وابن عساكر في تفسير كلام الشافعيّ، ونحوه؛ ليُخرجوا أصحابهم

---

(69) مناقب الشافعي للبيهقي (1/460–461).

(70) انظر: درء التعارض (7/250).

(71) تبيين كذب المفتري (337).

(72) انظر: درء التعارض (7/246).

(73) انظر: درء التعارض (7/246).

عن الذمّ، وليس كذلك؛ بل الشافعي أنكر كلام الجهمية؛ كلام حفص الفرد، وأمثاله، وهؤلاء كانت منازعتهم في الصفات، والقرآن، والرؤية، لا في القدر)[74].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وكتبه: عرفات بن حسن المحمديّ
فجر الإثنين 9 شعبان 1438

---

(74) النبوات (2/615-616).